مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، ص90–115، يناير 2017
ISSN 2518–5810

العصرانية ودعوتهم إلى التجديد

د. سيف الدين خشان*

الملخص

تناول هذا البحث موضوع العصرانية والتجديد، تحدثت فيه عن معنى العصرانية ونشأتها وأصولها ودوافع أصحابها للتجديد في العقيدة، ثم بينت منهجهم والآثار المترتبة على المفهوم العصراني لتجديد الدين، وأهم التجاوزات عندهم في جانب الاعتقاد والتشريع والفكر، ثم خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

Abstract

The people of modernity and their invite to renewal

This research deals with the Subject of modernism and Renewal.
I talked about the meaning of modernism and her origination. essential and the motives of the owners and Renewal in faith. Then I explain their approach.

Side effects and modern concept for the renewal of Religion and over ride which have their in belief. Legislation then Summary about this.

* كلية العلوم والتكنولوجيا– خان يونس – فلسطين.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وسيد الأمم أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،،،

إن موضوع العصرانية يعتبر من أهم الموضوعات العقدية التي تستحق البحث والدراسة لما لها من عظيم الأثر في حياة المسلمين، ولأن أعداء الإسلام لم يتركوا باباً للتشويش وإثارة الشبهات إلا ولجوه، ومن هؤلاء الذين سعوا للمساس بأصول الدين وفرعه من يسمون أنفسهم بالعصرانيين، حيث لا يَدَعون أصلاً ولا فرعاً إلا جعلوه محلاً للأخذ والرد باسم التماشي مع العصر ومجاراة الواقع، فلم تسلم العقيدة الإسلامية وثوابتها من دعواهم. إن هؤلاء سخّروا كل طاقاتهم وقدراتهم لضرب الإسلام من الداخل، وللأسف وجدوا من يسمع لهم، بل ويتبنى أفكارهم، لذا لا بد من كشف وبيان خطرهم على الأمة، وذلك بأن يفرد لهم بحث مستقل كمساهمة من الباحث في خدمة الإسلام والمسلمين، فكان هذا البحث بعنوان: العصرانية والتجديد.

منهج البحث:

استخدم الباحث خلال هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

أسباب اختيار الموضوع:

1- انتشار هذه الأفكار بين الناس لإعجاب الكثير منهم بالتقدم الغربي.

2- اعتقاد هؤلاء أن سبب تخلف المسلمين هو تمسكهم بالتقليد والجمود على النص وعدم الانفتاح على الغرب.

3- انخداع بعض المسلمين بأفكارهم وشعاراتهم البراقة.

4-تأثُّر الكثيرين في أوساط المجتمع بالعديد من الأفكار التي يبثها العصرانيون بدعوى تجديد الدين.

الدراسات السابقة:

1- العصرانيون ومفهوم تجديد الدين عرض ونقد للأستاذ الدكتور عبد العزيز مختار إبراهيم أمين.

2- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب للدكتور محمد حامد الناصر.

3- تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر للدكتور أحمد بن محمد اللهيب.

خطة البحث:

هذا البحث اشتمل على عشرة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: معنى العصرانية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: نشأة المدرسة العصرانية.

المطلب الثالث: أصول المدرسة العصرانية الحديثة.

المطلب الرابع: مرتبة علم العقيدة بين العلوم الإنسانية عند العصرانيين الجدد.

المطلب الخامس: دوافع العصرانيين الجدد للتجديد في العقيدة.

المطلب السادس: منهج العصرانيين الجدد في تجديد العقيدة.

المطلب السابع: الآثار المترتبة على المفهوم العصراني لتجديد الدين.

المطلب الثامن: تجاوزات العصرانيين العقائدية.

المطلب التاسع: تجاوزات العصرانيين التشريعية.

المطلب العاشر: تجاوزات العصرانيين الفكرية.

ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

المطلب الأول : معنى العصرانية لغة واصطلاحاً:

1. **أولاً: العصرانية لغة:** تعبير أو استعمال عصري أصله الكلمة الإنجليزية modernism، وهي: الصفة العصرية، أو حب الجديد أو العصري، ومجاراة روح العصر. والعصري: منسوب إلى العصر، وشخص من أهل العصر الحديث أو ذو آراء عصرية، (الحديث قاموس انجليزي – عربي حديث، منير البعلبكي ورمزي منير البعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 2008م، ص735). وعصري: سائر على عادات عصره وتقاليده، وهو عصري التفكير أو اللباس (الرائد، جبران مسعود، 2005: 612).

والعصرية: الحداثة والمعاصرة، وكون الشيء عصرياً المورد، البعلبكي، 2008: 735– 736).

وعصرية: هي حالة العصري وهو الميل إلى الأخذ بعادات العصر وتقاليده وما هو من ذوق العصر (الرائد معجم القبائي في اللغة والإعلام، جبران مسعود، ط3 دار العلم للملايين، بيروت، 2005: 612).

2.والعصرانية: مجاراة روح العصر، والعصرانية: دلالة على أي نظرية أو عقيدة أو فكرة ظهرت في حقبة حديثة من الزمان، وهي معارضة للنظريات التي ظهرت في حقبات سابقة أو قديمة أو تختلف عنها(المعجم الموسوعي في التربية انجليزي- عربي، فريد نجار، ط1، مكتبة لبنان، 2003م: 732). وهي حركة في الفكر الكاثوليكي سعت إلى تأويل تعاليم الكنيسة على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، والعصرانية: النزعة اللاهوتية التحررية في البروتستانية، والعصرانية: هي نزعة في الفن الحديث تهدف إلى قطع الصلات بالماضي والبحث عن أشكال من التعبير جديدة (المورد، البعلبكي، 2008: 735-736). وفي ضوء ما تقدم يلاحظ الباحث أن العصرانية تدور حول المعاني الآتية:

1. العصرية.
2. حب الجديد والعصري.
3. شخص من أهل العصر، وذو آراء عصرية.
4. حركة تحررية أو فلسفة ظهرت في الفكر الكاثوليكي والبروتستانتي.
5. نزعة فنية تهدف إلى قطع الصلات بالماضي والاشتغال بالمعاصرة.

ثانيا: العصرانية اصطلاحاً:

العصرانية حركة تجدد واسعة نشطت في داخل الأديان الكبرى، داخل اليهودية، وداخل النصرانية، وداخل الإسلام أيضاً (العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التعريب، محمد حامد الناصر، ط2، دار الكوثر، الرياض 2001م: 5).

وقد تعددت عبارات العلماء في التعريف للمدرسة العصرانية، فمنهم من عرفها من جهة تأثرها بالتقدم العلمي والثقافي فقال: "أي وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية في ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة" (العصرانيون ومفهوم تجديد الدين كحرف ونقد، عبد العزيز مختار إبراهيم أمين، ط1، مكتبة الرشد الرياض، 2009: 3-4). ومنهم من عرفها من جهة تأثرها بالغرب، فقال: هي "الانفعال بالمعطيات الاجتماعية، والفكرية للحضارة الغربية، مؤسسات، ونظماً، ومناهج فكرية، ومدارس أدبية وفنية، وربط الناس والمجتمع العربي بها، بحيث تكون لهذه المعطيات الأولية على الثوابت" (المثقف العربي

بين العصرانية والإسلامية، عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، ط1، دار كنوز إشبيليا، السعودية، 2009م. ص: 68-96).

وخلاصة تعريفات العلماء بأنها الاتجاهات التي تقدم العقل على النقل، وتجعل العقل مصدراً من مصادر المعرفة، وحكماً على النصوص، وهي التي تقوم على أنقاض المدارس الكلامية القديمة، تجدد أصولها، وتفسر الإسلام تفسيراً عقلانياً مادياً مستخدمةً النظريات الغربية المادية بغرض تطويع أحكام الدين ونصوصه إلى حاجات العصر، وعمدتهم في ذلك ما تؤدي إليه عقولهم مما يعتبرونه مصلحة توجب تقديمها بحجة روح الإسلام (الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر عبد الكريم العقل، ط1، دار الفضيلة، الرياض، 2009: 17).

هذا المفهوم هو أكثر دلالة على المدرسة العصرانية موضوع البحث، فخرج من قيد تقديم العقل على النقل الحركات التجديدية المحمودة التي تجعل الكتاب والسنة مصدر التجديد، وأخرج التعريف أيضاً من يجعل من أدوات المنهج العلمي وسيلةً لبلوغ غايته في التجديد.

المطلب الثاني: نشأة المدرسة العصرانية:

لقد فتن العصرانيون كثيراً بالمعتزلة، وكما حاول المعتزلة إخضاع الدين للفلسفات الغريبة، فكذلك العصرانيون يبذلون جهودهم لإخضاع الدين للعصر بل للحضارة الغربية باعتبارها ميزان التقدم والرقي.

وقد بدأت تتجلى آثار الحضارة الغربية في أوضح صورها في الفكر الإسلامي حينما رغب محمد علي الذي حكم مصر بإرسال بعثة علمية إلى فرنسا لتلقي العلوم الحديثة، وقد اختار رفاعة الطهطاوي إماماً شرعياً لهذه البعثة، فأخذ هذا الشيخ الأزهري يتفحص الحياة الفرنسية بجميع أشكالها، وألف كتابه الشهير تخليص الإبريز في تلخيص باريز، وقد مثلت هذه التجربة المواجهة الأولى من نوعها بين الفكر الإسلامي الحديث، وبين الحضارة الغربية في أوج استعلائها، وقد كانت مواجهة غير مستندة إلى أصول وثوابت فيعرف ما ينبغي نقله وما ينبغي تركه، فقد انطلق رفاعة الطهطاوي منذ اللحظة الأولى لوصوله فرنسا بالاعتقاد أن في هذه الحضارة ما يجب نقله إلى ديار المسلمين، فدفعه ذلك فور عودته إلى السعي في توثيق العلاقة بين الغرب وديار الإسلام للوصول بالمسلمين إلى التمدن المنشود، فبذر بذلك التبعية للغرب، حيث دعا إلى التوفيق بين الأصول الإسلامية والأصول الغربية، وتعددت في ذلك أنشطته وأعماله التي لا تزال الأمة تعيش آثارها إلى

اليوم (الانحراف، جمال سلطان، ط1، مركز الدراسات الإسلامية، بريطانيا، 1991م، ص: 8-25).

وكانت بداية انتشار العصرانية في بلاد الإسلام على يد أرباب المدرسة الإصلاحية بزعامة جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، فهما اللذان وضعا البذور الأولى لهذا المذهب الفكري، فحاول محمد عبده إثبات أهمية العقل في الإسلام، وإحياء الاجتهاد، واصطدم بالواقع ومال إلى الغلو، فمال إلى تأويل الأحكام والنصوص تأويلاً عصرياً، فأباح بعض أنواع الربا، واتخذ منهجاً عقلياً في تفسير القرآن أخضع من خلاله الآيات للنظريات العلمية الحديثة.

ثم سعى تلاميذه من بعده إلى تطوير أفكاره جانحين نحو الغرب، مطوعين النصوص للواقع، ومن هذه الأفكار ما دعا إليه قاسم أمين من تحرير المرأة، ودعوة علي عبد الرازق إلى فصل الدين عن الحكم والسياسة(العصرانيون، محمد حامد الناصر، ط2، دار الكوثر، الرياض، 2001م، ص: 367-370).

وقد تزامن تطور هذه المدرسة ونشأتها مع فترة إسقاط الخلافة العثمانية، واستعمار الدول الأوروبية لدول العالم الإسلامي، وكذلك قيام الثورة البلشفية في أكتوبر1917م التي أعقبها ظهور التيار الشيوعي أو الاشتراكية العلمية، وظهر الاتحاد السوفيتي متبنياً النظرية الماركسية، فانقسم العالم إلى ثلاث كتل؛ كتلة غربية تعمل بالنظام الرأسمالي، وكتلة شرقية يتزعمها الاتحاد السوفيتي، وكتلة عدم الانحياز، كما وقعت في هذه الفترة الحربان العالميتان اللتان كان لهما تأثير كبير على دول العالم الإسلامي وتمزقه وتأخره بمؤسساته الدينية والعلمية، فكان لظهور دعوة محمد عبده إلى الإصلاح مبرراتها من تأخر المسلمين وتقدم وهيمنة الغرب، مما ساعد على انتشار أفكاره (المجددين، كريم، 2010: 81-86)، فتجمع حول أفكاره العديد من المفكرين والباحثين الذين غلب على اجتهاداتهم التحرر من التراث من غير حمل لأدوات الاجتهاد، بل تبعية واضحة للغرب وحضارته. اشتهر منهم: رفاعة الطهطاوي، وخير الدين التونسي، ثم تلا هذا الجيل، كل من جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وطه حسين، وغيرهم، ومروراً بعلي عبد الرازق، وقاسم أمين، ومحمد إقبال، إلى الدكتور فتحي عثمان، ومحمد أحمد خلف الله، وأحمد أمين، ومحمود أبو رية، والدكتور محمد عمارة، والدكتور حسن الترابي، ومن نحا نحوهم (العصرانيون، الأمين، 2001: 26-27).

المطلب الثالث: أصول المدرسة العصرانية الحديثة:

إن رجال المدرسة العصرانية الحديثة ليسوا على قلب رجل واحد، ولا على اتفاق في جميع الأصول والمفاهيم، ولذلك ما يقرره أحدهم ويدافع عنه ينكره آخرون، والعصرانيون منهم من اجتمعت فيه جميع الأصول التي ستأتي ومنهم من اتسم بشيء منها، فالدارس لأفكار هؤلاء يصعب عليه أن يجمع أصولاً يتفق عليها جميع العصرانيين، ومع ذلك فإن هذه الأصول هي السمة الغالبة على الأعم منهم، وهي:

1. تقديم العقل على النقل:

تحرص المدرسة العقلانية على تقديم العقل على النص الشرعي، وتحتكم إلى العواطف والأهواء حتى في أصول العقيدة ومقررات الدين الثابتة دون اعتبار للوحي والنص الديني المعصوم، فإن التحليل والاستنتاج مقدمان على الوحي والاستدلال النصي (الاتجاهات، العقل، 2001: 361-364).

وكما أن المعتزلة العقلانيين حكموا العقل وجعلوه فيصل المعرفة، فإن العصرانيين تبعٌ لهم في ذلك الأمر سواءً بسواء ويداً بيد (العصرانيون، الأمين، 2001: 29).

وقد تمثل تعظيم العقل وتقديمه على الشرع لدى أصحاب الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر في بلاد المسلمين، بما يلي:

أ. التمجيد والمبالغة في الثناء على الفكر العقلاني الغربي، وعلى الاتجاه العقلاني القديم المتمثل في المعتزلة، والفرق الكلامية القديمة.

ب. التنقيص من العلماء الذين يقدمون النقل الصحيح على العقل ووصفهم بأهل الجمود والتخلف والتحجر والنصوصية... إلخ (تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الاسلامي المعاصر، احمد بن محمد اللهيب، ط1، مكتبة مجلة البيان، الرياض 1432: 220).

ت. استقلال العقل في البحث في القضايا المتعلقة بتنظيم حياة الأفراد والمجتمعات حتى لو جاءت الأدلة بالنص عليها، يقول الدكتور محمد عمارة بعد بيان أن الغيبيات لا نصيب لنظر العقل فيها: "هناك ميادين أخرى في الفكر الإسلامي لا نعتقد بصواب منع الاجتهاد فيها، حتى لو كانت قد رويت في موضوعاتها نصوص قطعية الدلالة، قطعية الثبوت" (التجديد والمستقبل، عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط1، دار السلام 2011: 1).

ولا عجب في قول الدكتور عمارة الذي يقول في كتابه التراث في ضوء العقل: "ولقد كان وراء الموقف الإسلامي المميز في العقل مجيء الشريعة الإسلامية ختاماً لشرائع السماء، فهي قد جاءت إيذاناً ببلوغ الإنسانية سن رشدها، ومن ثمَّ أصبح بالإمكان أن تعتمد على العقل اعتمادها على النقل" (التراث، عمارة، 2009: 221).

3.اعتبار النظر العقلي الأصل الأول للإسلام لتحصيل العلم، فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عندهم هو وسيلة الإيمان الصحيح... أما الأصل الثاني للإسلام فهو تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض (الأعمال الكاملة، محمد عبده، تحقيق: محمد عمارة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1993م. ص: 300).

2. الإنكار والتشكيك والتحريف والتأويل في أصول العقيدة وأدلتها:

يعتمد العصرانيون على الإنكار، ورد النصوص في العديد من القضايا الشرعية التي لا تنسجم وأهواءهم الفكرية، فجمهور العقلانيين، ومفكروهم، أنكروا مثلاً أن تكون هناك معجزات للرسول محمد – صلى الله عليه وسلم– غير القرآن وكذبوا الأحاديث الصحيحة، ومنها المتواتر التي وردت فيها، وأما التشكيك والتأويل والتحريف، فكل ما يرى العقلانيون أنه يصطدم مع عقولهم وأهوائهم المتأثرة بالغرب المادي فهي تخضعه للتأويل الفاسد ولو أدى إلى تعطيل النصوص أو تحريفها(الاتجاهات، العقل، 2001: 364)، يقول محمد عبده: "إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقي في النقل طريقان؛ طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله في علمه، والطريق الثانية: تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل" (الاتجاهات، العقل، 2001: 301).

3. الانحراف في منهج الاستدلال والتلقي:

إن الخلل واضح في كتابات وآراء العصرانيين من حيث منهج الاستدلال، فهم يجعلون النصوص الواردة في الكتب المحرفة على منزلة واحدة مع نصوص الكتاب والسنة، بل إن النظريات والفلسفات الغربية، والقوانين الوضعية تتساوى، وربما مقدمة على منهج وأصول وقواعد الوحي المعصوم، وكذلك فإن مصدر دراسة الإسلام والتلقي ليست المصادر الإسلامية بقدر ما هي كتابات الغربيين والمستشرقين، والمؤسسات والجامعات الغربية، مما دفع أصحاب هذا الاتجاه إلى عدم توقير

واحترام المصادر الإسلامية، وزادهم تيهاً وخبالاً وانحرافاً وإعراضاً عن شرع الله – عز وجل- (الأعمال الكاملة، عبده، 1993: 365- 370).

4. التنكر للتراث الإسلامي:

إن من أخطر سمات العصرانيين هو التنكر والانقطاع المتعمد عن كتب السلف، وما قدموه من علوم وجهود في شتى مجالات الدين، حيث يصفون كتبهم بالصفراء القديمة التي لا تتناسب مع عصر التقدم والتنوع، وتكمن خطورة هذا التوجه في أن الذي يتنكرون له من كتب في العقيدة أو الفقه أو التفسير والحديث وسائر التراث إنما يمثل بجموعه الإسلام، فإلغاؤه يعني إلغاء الإسلام ذاته (الأعمال الكاملة، عبده، 1993: 370- 373).

5. إبراز الجوانب السلبية في التاريخ الإسلامي:

انحصرت رؤية العصرانيين في الجوانب السلبية من التاريخ الإسلامي، فهي تهول من شأن تلك الانحرافات أو الأخطاء، لا سيما في القرون الأولي، مثل التركيز على الفتنة التي وقعت بين الصحابة، فتجعل من هذه الفتنة منفذاً للطعن بالصحابة والتابعين وسبهم، والإساءة إليهم وإلى الإسلام من وجوه عدة، كما يحرص رجالات هذه المدرسة على تمجيد الفرق الضالة الانفصالية القديمة منها والحديثة، والاعتماد على الآراء الشاذة للعلماء، وتشويه منهج أهل السنة، ووسمه بالتشدد والحجر على الحريات، بينما المعتزلة هم أبطال الحرية (المعتزلة والحرية الإنسانية، محمد عمارة، ط2، دار الشروق بدون تاريخ وبلد النشر: 24)، فيرون أن في فقد تراث المعتزلة خسارة للأمة الإسلامية، وهذا النبش لأفكار الفرق الضالة من أجل الوقوف في وجه أهل السنة، ذلك أن الفرق الضالة القديمة بأفكارها أكثر معايشة مع الغرب بأفكاره ومناهجه (الاتجاهات، العقل، 2001: 373-378).

6. تقديس العلم المادي الحديث:

لقد بلغ التقديس للعلم المادي الحديث عند العصرانيين إلى جعله الحكم على الدين والغيبيات، فلم يعد عندهم اعتبار للوحي المعصوم، فإذا جاء عن أحد الغربيين المستشرقين قول بنفي أو إثبات ولو من غير دليل أصبح هذا القول من المسلمات التي يحكم من خلالها على الوحي المنزل، وما ذاك إلا لما بلغه هؤلاء من الانهزامية التي تملكت عقولهم وقلوبهم، فقد جعل أرباب هذه المدرسة العقلية المقياس هو المنهج العلمي الحديث، حتى أجرت هذا المنهج على الوحي والنبوة، والمعجزات

والغيبيات، وأصول العقيدة والسنة، فما لا يؤمن به العلم الغربي الحديث فلا سند له من الصحة عند أكثر رواد المدرسة العقلية الحديثة، نعم إن للعلم الحديث قدره وقيمته، ولكن لا يتعدى بأن نجعله حكماً على الغيبيات والآيات والنصوص المحكمات، فإن ذلك يعد من الغلو والانحراف الذي يبلغ بصاحبه التألي على رب العزة تبارك وتعالى (الاتجاهات، العقل، 2001: 378-381).

7. الإشادة بالحياة الغربية والحكم على الإسلام من خلالها:

إن أكثر ما فَتن العصرانيين الحضارة الغربية فكراً وسلوكاً ومنهاج حياة، وجعلها المثل الأعلى في سلوكهم وغاياتهم وآمالهم، وهي تسعى إلى ترسيخ تجلي روحاً وتطبيقاً في أبهى صورة لدى الغرب الكافر أكثر منه في ديار المسلمين، لذلك يزعمون أن اقتفاء الغرب عودة إلى نقاء الإسلام، وواضح أن في هذا افتراءً على الأمة وتغاضياً عمّا عند الغرب من سلبيات وعيوب (الاتجاهات، العقل، 2001: 378-381).

المطلب الرابع: مرتبة علم العقيدة بين العلوم الإنسانية عند العصرانيين الجدد:

علم العقيدة عند أهل السنة مقدم على سائر العلوم، ولكن ليس هذا منهج بعض العصرانيين، فهم كعادتهم يجتهدون من حيث لا ينبغي، فيؤخرون ما حقه التقديم، فعلم العقيدة عندهم ترتيبه مختلف على النحو التالي:

أولاً: من حيث الموضوع:

لا شك أن علم العقيدة من حيث موضوعه هو أشرف علم بين العلوم الإنسانية، وهو باشتماله الحديث عن أركان الإيمان أعلى العلوم مرتبة ومنزلة بين سائر العلوم الإنسانية، غير أن المدرسة العصرانية لا يروق لها هذا الترتيب، فهم يعتبرون أنه ليس هناك علم أشرف من علم آخر، فالعلوم كلها على مستوى واحد، لأن الموضوعات كلها على مستوى واحد لا تفاضل بينها في الشرف والرتبة..... وإذا كان لموضوع الذات شرف فهو أنه أول حقيقة يقينية يبدأ منها الإنسان، وهي ذاته وصفاته وفي مقدمتها الفكر، فهي ذات مفكرة..... أي أن الحقيقة اليقينية الأولى التي يضعها العلم ويبدأ منها الإنسان نظر وعمل، وأن الذات فكر وسلوك (التراث والحداثة، محمد عابد الجابري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت1991: 121).

إذًا علم الإنسان لدى هذه المدرسة مقدم من حيث الموضوع على علم العقيدة وهو أعلى رتبة ومنزلة، وهذا تقديم لما حقه التأخير، فليس ثمة موضوع هو أشرف ولا أعلى رتبة من الحديث عن

الله والإيمان به، فإن الإيمان بالله هو أول الهداية وأوسطها ومنتهاها، ولا يمكن لفكر أن يبلغ طريق النجاة من غير الإيمان بالله فلزم أن يقدم على كل علم.

ثانياً: من حيث الأولوية:

جعل حسن حنفي أول العلوم هو علم سابق على علم الكلام وهو علم المبادئ العامة للوحي، وهو العلم الذي يضع المبادئ العامة والتي تحدد الأسس العقلية لكل العلوم، ثم يأتي علم التفسير الذي يضع مناهج النصوص حتى لا يخضع تفسيرها إلى هوى فردي أو مصلحة شخصية، ثم يأتي علم الإحصاء الاجتماعي الذي يعطي صورة للواقع المراد تنظيره، والذي سيكون مصباً للعقائد، وبعد ذلك يأتي علم التوحيد بعد أن تحددت المبادئ العامة للوحي، وبعد أن اكتملت نظرية التفسير، وبعد أن أدركنا الواقع الذي نعيش فيه (التراث والحداثة، الجابري، 1991: 122).

وهذا مخالف للمنهج الذي علمه النبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلم–، فقد كان أول ما يُعلم الناس الإيمان والتوحيد ومن ثم القرآن، قال جندب بن عبد الله وابن عمر وغيرهما: "تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان" (سنن ابن ماجة، القزويني، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الجيل، بيروت، 1418هـ، ص: 82).

ثالثاً: من حيث الغاية، تمجيد العالم الدنيوي:

لقد كان لبعض العصرانيين موقف متطرف في ترتيب علم العقيدة من حيث غايته، فهم يرون أنه "إذا كان الشرف من حيث الغاية والفائدة" وهي الحصول على السعادة في الدنيا، ونيل الفوز في الآخرة عن طريق الاشتغال بالمعارف والعلوم والحصول على المعقولات فإن علم الكلام في الحقيقة من أقل العلوم شرفاً، لأنه من أخطر العلوم، ومن أقرب السُبل إلى التهلكة، فلا توجد سعادة معروفة يبحث عنها الناس بالفعل إلا في هذه الدنيا، وليس خارجها، ولا يوجد فوز يبتغيه الناس ويسعون إليه إلا في هذا العالم، وليس في عوالم أخرى سابقة على حياته كما هو الحال عند الصوفية أو لاحقة على مماته كما هو الحال عند المتكلمين" (التراث والتجديد، الجابري، 1991: 122– 123).

يتبين مما سبق أن العقيدة عند هؤلاء من حيث المرتبة ليست بأشرف العلوم، لا من حيث الموضوع، ولا الأولوية، ولا الفائدة، بل من أخطر العلوم العقلية النقلية القديمة من حيث تشويه الوحي والتعمية عن واقع المسلمين (التراث والتجديد، الجابري، 1991: 125).

المطلب الخامس: دوافع العصرانيين الجدد للتجديد في العقيدة:

يُعد تجديد العقيدة بالمفهوم العصراني من صور الكيد التي ظهرت بعد علو الإسلام وتمكينه في الأرض، فظاهرها الارتباط بالإسلام، وباطنها الحرب على الإسلام وأوليائه، وقد تعددت دوافع العصرانيين الجدد لتجديد العقيدة، ومن هذه الدوافع:

أولاً: اللقاء بالغرب:

لقد أثر لقاء العصرانيين بالغرب، سواء كان هذا اللقاء منذ البداية مع قدوم الحملة الفرنسية على مصر، أو في زمن البعثات الثقافية للغرب، حيث شاهد المبتعثون الفروق الهائلة مع المجتمعات الغربية ما أصابهم بالانبهار، والشعور بأن الأمة تخلفت وتقهقرت، مما جعل الغرب الذي كان منذ البداية هو الدافع والمحرك أن يكون النموذج في التجديد للعقيدة وسائر قضايا الشريعة، فكانت مشروعات العصرانيين في التجديد إلا ما ندر منها لا تعدو أن تكون تقليدياً ومحاكاة للنموذج الغربي (خطاب النهضة، 2010: 63).

ثانياً: التوفيق بين الإسلام والثقافة الغربية:

ومن هؤلاء من يزعم أن ما يدفعه لهذا اللون من التجديد هو التوفيق بين ما دلت عليه الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وبين ما خالف ذلك وناقضه من معطيات الحضارة الغربية، وهي حضارة مادية لا دينية، ولو قامت على الدين فدينهم محرف مبدل غير صحيح. إن ما يجري الآن تحت دعوة تجديد الخطاب الديني هو أقبح من عملية التوفيق بين الدلائل الشرعية والثقافات الغربية المعاصرة، إنه تقديم لتلك الثقافة على الدلائل الشرعية، ووضعها في موقع السيد المتبع، فالثقافات الغربية على ما فيها من الضلال والفساد صارت عندهم الثوابت المحكمات التي تؤول لأجلها بل تحرف أدلة الشريعة (خطاب النهضة، الفقيه، 2010: 44-45)

ثالثاً: كيد الغرب لإضعاف عقيدة المسلمين:

أدرك الكفار واستيقنوا أن الشعوب المسلمة رغم تخلفها الضخم في المجال التقني الحديث لا يمكن التغلب عليها ما دامت مستمسكة بدينها، أو على الأقل ما دامت لديها القابلية للتنادي باسم الإسلام والتجمع تحت لوائه، والاستجابة لمن يحفزهم إلى ذلك، والعمل من خلال نصوص الشريعة التي تأبى أشد الإباء أن يكون للكافرين على المسلمين سبيل أو سلطان، والتاريخ شاهد صدق على

ذلك... وكان لا بد من العمل على توهين الدين في نفوس المسلمين، وإبعادهم عنه، حتى يصير غريباً بين أهله وفي ديارهم، وقد ساهم في ذلك جيش كبير من المستشرقين الذين درسوا الإسلام خدمة للاستعمار، حتى يتوصلوا إلى نقاط الضعف، حسب تصورهم، وما به من ضعف، التي يمكن من خلالها تنفيذ خطتهم التي كانت تهدف إلى إحداث تغييرات جوهرية في العقيدة والشريعة وفي حركة الحياة اليومية يكون من شأنها إفساد الدين، وإماتة روح الجهاد، وإزالة الحواجز النفسية بين المسلمين والكفار... ولا يصلح لذلك في رأيهم إلا من ينتسب للإسلام، وتحت اسم من الأسماء التي يمكن قبولها ورواجها بين المسلمين: كالإصلاح مثلاً، الاجتهاد والتجديد، أو التنوير والتحديث (خطاب النهضة، الفقيه، 2010: 46–47).

رابعاً: تشويه الغرب للإسلام:

استخدم الغرب ما أمكنه من وسائل لتشويه صورة الإسلام والإنسان العربي المسلم، وصور المسلم في صورة الإنسان البدائي الجاهل المتوحش، فأثر هذا التشويه على الكثير من المسلمين، وخاصة أصحاب النفوس الضعيفة والمنهزمين أصلاً نتيجة للتفوق الغربي مادياً، فأخذ يسعى بعضهم إلى تحسين صورة الإسلام أمام الغرب، وذلك بعرض الإسلام على غير صورته الحقيقية، بل بتبديل الإسلام عقيدة ومنهجاً إلى الشكل الذي يرضي الغرب، فسعى بعضهم إلى تحريف ثوابت الإسلام لتتوافق مع الرؤيا الغربية (خطاب النهضة، الفقيه، 2010: 46–47).

هذه عدة دوافع شكلت بمجموعها أساساً لدى العصرانيين للتجديد المنحرف للعقيدة، عقيدة الولاء والبراء بخاصة، حتى تكون قابلة للتعامل كما يزعمون مع متطلبات العصر، ومتغيراته، كي يتسنى للعصرانيين في ظنهم الصعود في سلم الرقي الحضاري متابعةً للكافرين، وليس بالعودة إلى نقاء الدين كما كان عليه السلف الصالح، والله المستعان.

المطلب السادس: منهج العصرانيين الجدد في تجديد العقيدة:

ارتكز منهج فريق من العصرانيين الجدد في تجديد العقيدة على مسألتين أساسيتين؛ وهما:

أولاً: القول بنسبية الحقيقة:

يقصد بهذا القول أن الحقائق العلمية والقيم والمبادئ تتبدل وتتغير بتغير الزمان والمكان، وذلك لأن الحقيقة الثابتة تختلف الأنظار إليها باختلاف النظر الفكري إليها، وكان غرض بعض العصرانيين من هذا القول جمع الأمة الإسلامية بجميع أطيافها فالنسبية فلسفة تزعم أن الحقائق العلمية، والقيم

الخلقية، والمبادئ التشريعية، والنظم الاجتماعية والسياسية، كلها تتبدل وتتغير بتغير الزمان والمكان، فما كان حقاً بالأمس سرعان ما ينقلب باطلاً، لا فرق لديهم في ذلك بين قانون وضعي وشريعة دينية، وبهذا التصور يرى العصريون أن العقيدة الإسلامية كانت صالحة لعصر النبوة والراشدين، غير أنها لا تصلح ليومنا هذا (تجديد الدين، اللهيب، 1432: 272-274).

وهذا القول يتناقض ولا شك مع ما جاء به الأنبياء من لدن آدم عليها السلام، فقد اتفق الأنبياء على عقيدة واحدة، وكانت دعوتهم جميعاً إلى توحيد الله عز وجل، ولم يتغير من ذلك شيء من عصر إلى عصر، فقد جاءت دعوة الأنبياء جميعاً متطابقة ومتفقة في جانب الاعتقاد لا تغيير فيها ولا تبديل.

وإن لم تتفق الأمم على قيم ثابتة، ومعايير واضحة في الجانب الاجتماعي والخُلقي فسدت ولا شك، وقد جاء قول العصرانيين هذا مقدمة ليطلقوا لأنفسهم العنان لسلوك المناهج المتعددة دون أن ينقضهم أحد، يبتغون بذلك أن تكون لهم الحرية لشذوذاتهم وأفكارهم وعقائدهم المنحرفة والمخالفة لمنهج الأنبياء.

ثانيا: سلوك منهج الفلاسفة في تجديد العقيدة:

يحلو للعصرانيين تلمس كل ما هو خارج إطار الاسلام من تصورات أو وسائل ومناهج، فإذا ما أرادوا الاستدلال على مسائل العقيدة سلكوا منهج الفلاسفة، وتخلوا عن طريق الأنبياء في الاستدلال، فلذلك جعلوا الأصل الذي يفرعون عنه والأساس الذي يبنون عليه، فتكلموا في كيفية إدراك العلم، وقالوا: إنه يكون بالحس تارة وبالعقل تارة، وبهما معاً تارة أخرى، ثم رتبوا على ذلك أن جعلوا العلوم الحسية والبديهية هي الأصل في العلم، ولا يقوم علم ولا يستقيم إلا بها (المدرسة العصرانية، العقل، 2001: 266-271).

وقد وسم بعض العصرانيين أرسطو بأنه شيخ الفكر الإسلامي، ودعا هؤلاء إلى أساس المنهج التجديدي في العالم الإسلامي إنما هو بإحياء مناهج الفلسفة اليونانية، ذلك أن الحضارة الغربية قامت على المناهج الفلسفية اليونانية (اتجاهات الفكر الإسلامي، الجمال، 1994: 52).

وهذه المناهج لا شك أن الله عز وجل قد أغنانا عنها بمنهج رباني نبوي متين، لا مآل له إلا الطمأنينة وسكينة القلب، بخلاف سلوك منهج أهل الفلسفة الذي لا يزيد صاحبه إلا تيهاً واضطراباً في العقيدة وضبط المفاهيم.

إن منهج العصرانيين هذا الذي مركزه الإنسان والحق فيه أمر نسبي ليفتح الباب أمام الخروج عن الشريعة، وليس الاستمساك بها، ويغلق باب الإنكار على من يخالف العقيدة الصحيحة، لأن الحقيقة نسبية كما يزعمون، وهيهات أن يكون في المناهج الفلسفية الوثنية بلوغ التوحيد الصافي النقي، ذلك أن الغاية الشريفة والمنزلة الرفيعة وبلوغ التوحيد، لا يمكن أن يتم إلا بالتماس الوسائل الصافية النقية، التماسها من داخل الاسلام ومنهجه وتعاليمه لا من خارجه، وما يتعارض معه ويصطدم مع أصوله.

المطلب السابع: الآثار المترتبة على المفهوم العصراني لتجديد الدين:

لقد ترتب على الدعوة إلى تجديد الدين بالمفهوم العصراني العديد من السلبيات التي أوهنت من حال الأمة، وأخرت من تقدمها، وتحقيق أسباب عزها وعلو شأنها، ومن هذه الآثار:

أولاً: الآثار العقدية:

1. التشكيك في العقيدة الصحيحة، وزعزعة الثقة بها، والتغيير والتبديل لها بما يتناسب مع الحداثة المعاصرة، مما يضعفها في نفوس الناس.
2. التشويه المتعمد للتراث الإسلامي عقيدة وشريعة، وزهد الناس في الاستدلال بتراث الأمة الزاهر المتمثل بما خلفه سلفها الصالح.
3. إحياء التراث الفلسفي والمعتزلي وعرضه للناس بصورة مزخرفة تجعله مقبولاً لدى عامة المسلمين.
4. الهزيمة النفسية أمام أعداء الإسلام والمسلمين من الكفار والغربيين بهدم عقيدة الولاء والبراء، وإلغاء الجهاد، والترويج بأن المسلمين في تخلف لا يخرجهم منه إلا تتبع الغرب في جميع أحواله.
5. تمهيد الطريق أمام الآراء الشاذة والتوجهات الفكرية المنحرفة بالترويج لحرية الرأي ونسبية الحق والباطل(التطرف المسكوت عنه، اصول الفكر العصراني المعاصر، ناصر بن يحيى الحسيني، ط2، دار التوحيد للنشر، الرياض 2010: 197-198).
6. إفساح المجال بقوة أمام الأنشطة التنصيرية والتبشيرية في المجتمعات التي تجهل أو تم تجهيلها بحقيقة الإسلام (تجديد الخطاب الديني، الشريف، 2004: 38).
7. إضعاف الثقة بشمولية الإسلام وهيمنته على الجانب الروحي والمادي، وتحوله إلى مجرد عقيدة في القلب دون أن تنعكس هذه العقيدة على واقع الحياة، فيقصي هذا الأمر الإسلام شيئاً فشيئاً عن غايته وهو تعبيد الناس لربهم عز وجل.

8.التهوين من النص الشرعي، بل تقسيمه إلى تشريعي وغير تشريعي، والتشكيك في نص يتعارض مع المتطلبات المتوهمة لديهم للعصر، والتطاول على النصوص بالتأويل والتحريف والرد.

9.التهوين من عقيدة السلف الصالح ووصفها بالجمود والرجعية والنصوصية (تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الاسلامي المعاصر، احمد بن محمد اللهيب، ط1، مكتب مجلة البيان، الرياض 1432: 437-454).

10.إخضاع الدين والوحي إلى العقل البشري، وجعل الفكر حكماً على الشرع مما يجعل الدين عرضة للتغيير والتبديل المستمر، مما قد يؤدي بالتقادم إلى ضياع الدين، وعند ذلك يدرس الإسلام، ويبتعد الناس عن مصدر الهدى والفلاح (تجديد الخطاب الديني بين التأهيل والتحريف، محمد بن شاكر الشريف، ط1، طبعة مجلة البيان، الرياض، 2004: 38).

ثانياً: الآثار التربوية والأخلاقية والاجتماعية:

1.طمس معالم الأخلاق الإسلامية، وذلك عن طريق الانحلال الأخلاقي والدعوة إلى الاختلاط، وتحرير المرأة، ومساواتها بالرجل في كل شيء.

2.إماتة وإضعاف واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتباره تعديا على الحريات العامة والشخصية، ووصف الدعاة بالتخلف والرجعية (تجديد الدين، 1432: 198-201).

3.تزهيد الأمة بعلمائها وخاصة من كان منهم متمسكاً بمنهج السلف، ووصفهم بالتحجر، فهم يسقطون بكل سبيل الرموز والقدوات، وتشويه صورتهم ونزع الثقة فيهم، مما يجعل الجيل يتلمس القدوة في من هو ليس بأهل لذلك (تجديد الدين، الشريف، 2004: 444).

ثالثاً: الآثار السياسية:

1.إقصاء الشريعة وعزلها عن حياة المسلمين، وحصرها في المسجد والعبادات الشخصية، وهو ما يعرف بالعلمانية التي تفصل الدين ونظام الحكم، بحيث يصبح الإسلام لا أثر له في الجماعة المسلمة، وجعل العلاقة بين المسلمين وغيرهم مبنية على مبدأ المصلحة والمنفعة المادية.

2.الولاء الفكري والوجداني للغرب والاستقواء بالأجنبي (التطرف، الحنيني، 2010: 203).

3.شرعنة بعض المبادئ الغربية، وعملهم على قصر الجهاد الذي شرعه الله على جهاد الدفع فقط، ودعوتهم المبطنة إلى الديمقراطية كنظام سياسي والوطنية والمساواة بدون ضوابط (تجديد الدين، اللهيب، 1432: 448-449).

ولقد كثرت تجاوزات العصرانيين بمجموعها إلى القدر الذي أصبح يصعب حصرها، ولكنهم ليسوا سواء في هذه التجاوزات، فهم بين مقل ومستكثر، والآن نبين بعض هذه التجاوزات التي غلبت على هذه المدرسة حتى أصبحت سمتاً عاماً لديهم.

المطلب الثامن: تجاوزات العصرانيين العقائدية:

لقد بلغت التجاوزات العقائدية ببعض العصرانيين أن وقعوا في اعتقادات وألفاظ قد تخرجهم من ملة الإسلام، وقد تفاوتت تجاوزات العصرانيين بتفاوت مشاربهم وأفكارهم، ومن هذه التجاوزات:

أولاً: القول بتاريخية النصوص بما في ذلك ما يتعلق بأدلة الاعتقاد:

ويقصد العصرانيون بذلك تحويل العقيدة من حقيقة موضوعية إلى تصور متغير وغير ثابت، ويرون أن سبب تأخر الأمة في الدراسات الإسلامية مقابل التقدم هو القول بثبات العقيدة، يقول محمد أركون: "وهنا نصطدم بأكبر عقبة في وجه تقدم الدراسات الإسلامية والفكر العربي ألا وهي: التسليم للعقائد ورفض تاريخية العقائد، أو رفض ارتباطها بجميع العوامل المحركة للمجتمع ككل من اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية، إلخ...(الفكر الإسلامي قراءة علمية: هاشم صالح ،15، ط2، المركز الثقافي العربي ومركز الانماء القومي، بيروت 1996: 15).

ويشمل ذلك القول كليات العقيدة، وليس جميع مسائل العقيدة، وهذا هو الغالب على القراءات العصرانية الجديدة للنصوص الشرعية (ظاهرة التأويل، اليف، 2011: 314).

وعجباً لهذا القول، فكيف تكون كليات العقيدة متغيرة؟ وهل الإيمان بوجود الملائكة مثلاً أمر تؤثر فيه عوامل التقدم الحضاري أو غيره؟. إن ما كان ثابتاً من مسائل العقيدة لا يزال ثابتاً وسيبقى ولن تغيره الظروف والأحوال.

إن القول بأن الله واحد لا شريك له ليس تقليدياً ولا رجوعاً إلى الخلف، ولكن هذه من التجاوزات التي تزينها العقول بغير بصيرة ولا هدى.

ثانياً: إسقاط الفرق بين المؤمنين والكافرين:

لقد حاول بعض العصرانيين أن ينقل إلى الأمة الإسلامية الحضارة الغربية بكل أشكالها؛ بخيرها وشرها، وآخرون سعوا إلى تحطيم الحواجز بين الإسلام والأديان الأخرى، وهم يرفضون تقسيم الناس إلى مؤمنين وكفار، زاعمين أن هذا تقسيم مرتبط بالعصور الوسطى، وفى ذلك كسر

للتميز الذي بنيت عليه عقيدة الولاء والبراء، والحب في الله والبغض في الله (العصرانيون، الناصر، 2001: 381- 382).

وقد حرص الإسلام على التمييز بين المسلمين وغيرهم، ونهاهم عن التشبه بالكفار بما يميز عقيدتهم وديانتهم، ليبقى المسلم عزيزاً في عقيدته ومنهجه ومنظره وسلوكه.

ثالثاً: اعتقاد العصرانيين ببشرية تطبيق النبي -صلى الله عليه وسلم- للوحي:

يعتقد العصرانيون أن النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم- قام بتطبيق الوحي تطبيقاً خاصاً واجتهاداً بشرياً، ليس ملزماً لمن جاء بعده، وأن العقل الحداثي قادر على أن يجتهد في تطبيق الوحي بصورة مستقلة عما قدمه النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- (ظاهرة التأويل، اليف، 2011: 315).

وهذا معارض للكثير من الآيات الدالة على وجوب اتباع النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- في كل ما جاء به، وتأكيد القرآن الكريم على أن في اتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- النجاة.

ولكن جاء هذا القول، كي يستطيع العصرانيون أن يردوا ما شاؤوا من الأحاديث باعتبارها بحسب تصورهم لا تتناسب مع العصر الذي نعيش فيه، أو أنها خاصة بزمن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-.

رابعاً: رد الغيبيات:

رد العصرانيون أحاديث كثيرة تتعلق بالجن وعذاب القبر ومسائل اليوم الآخر، باعتبارها أحاديث آحادا لا يؤخذ منها اعتقاد، ومنهم من تجاوز ذلك إلى القول بإنكار الجانب الغيبي مطلقاً ورده، معتقداً أنه ليس من الإسلام وليس واقعاً يمكن اعتباره(العصرانيون، الناصر، 2001: 394-396).

خامساً: استحلال المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة:

فقد ذهب بعض العصرانيين إلى رفض مبدأ التحريم أصلاً بحجة أن التحريم يمس حرية الفرد، لأنه يفترض ألّا يعرف مصلحة نفسه، وقد أجمع علماء الأمة على أن استحلال المحرمات الواضحات المعلومة من الدين بالضرورة هو من الكفر الذي لا مرية فيه ولا خلاف، حيث إن في ذلك رداً أو عناداً لما أنزل الله عز وجل (حقيقة الليبرالية وموقف الاسلام منها، عبد الرحيم السلمي ط1، مركز التأهيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، 2009: 579).

سادساً: ازدراء عقيدة السلف والتهوين من شأنها:

يعد هذا التجاوز من أبرز سمات التيار العصراني، فتارة يصفون العقيدة السلفية بالجمود والرجعية، وتارة بالتكفيرية، وكثيراً ما تجد في كتاباتهم وأقوالهم التعريض بالسخرية من اعتقادات السلف وتقريراتهم في مسائل الإيمان (تجديد الدين، اللهيب، 1432: 452-454).

سابعاً: تقديم العقل على الوحي المعصوم:

اتصف هذا التيار في جرأته على الأدلة القرآنية، والأحاديث النبوية، بالرد والتأويل والتحريف، وذلك وفقاً لما تزينه له عقولهم، وبما يتفق مع أهوائهم، فالعقل هو صاحب القرار في قبول أو رد أي رأي حتى ولو كان نصاً قرآنياً.

العقل عند العصرانيين هو المصدر الأول للتلقي، وهو وحده الذي يفيد اليقين، وهو أصل السمع، فلا يصح تقديم السمع عليه، أما الأدلة النقلية فهي بمجملها لا تفيد اليقين عند الفهم العصراني، فلذلك حاكموا النصوص، فما وافق العقل قبلوه، وما خالف العقل ردوه (تجديد الدين، اللهيب، 1432: 452-454).

وهذا الاعتقاد العصراني بتقديم العقل على النقل مخالف للمنهج الذي عليه سلف الأمة، العقل الصريح ابتداءً لا يمكن أن يتعارض مع النقل الصحيح، ولو ظهر لأحد أي تعارض فالواجب عليه أن يقدم النقل، والمتهم في ظنه التعارض عقله لا ما جاء به النقل الصحيح.

والقول بتقديم العقل على النقل مرفوض من جهة أنه لا عقل يستحق أن يكون مقدماً على عقل آخر، فالعقول تتفاوت في أفهامها، ولذلك كان لا بد من تثبيت ميزان الوحي المعصوم وتقديمه في جميع القضايا، فإن العقل يعتريه الإيهام والنقص، أما النص فلا نقص فيه ولا وهم.

المطلب التاسع: تجاوزات العصرانية التشريعية:

كما عظمت تجاوزات العصرانيين العقائدية وتعددت، فإن التجاوزات التشريعية كانت على نطاقات متعددة ومختلفة شملت عموم الجوانب التشريعية ومن هذه التجاوزات:

أولاً: تأييدهم لفصل الدين عن واقع الحياة:

وهي الفكرة التي دعا إليها علي عبد الرزاق في كتابه الإسلام وأصول الحكم، ثم تبعه بعد ذلك بعض العصرانيين، حيث زعم أن الإسلام دين لا دولة، وأن نظام الخلافة لا صلة له بالإسلام، ويجتهد العصرانيون في ترسيخ النهج العلماني، ولا يزالون يبرهنون على أهميته ويسعون إلى ترسيخه

في واقع المسلمين بكل السبل(جذور الليبرالية، بسام عبد السلام البطوش، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن 2008: 58).

ثانياً: تجاوزاتهم في قضية المرأة: وقد تمثلت هذه التجاوزات في القضايا التالية:

1. الدعوة إلى السفور ومقاومة الحجاب:

فمنذ أن عاد رفاعة الطهطاوي من فرنسا حاملاً معه الانبهار بالحضارة الغربية أخذ ينظر لخروج المرأة والاختلاط والسفور باعتباره لا يتناقض مع عفة المرأة، وتابعه في ذلك قاسم أمين ورواد المدرسة العصرانية، ويركز العصرانيون على ذكر مثال بـ الحجاب والتنقيص من شأن المتمسكات فيه، بينما يرفع من شأن السافرات (جذور الليبرالية، البطوش، 2008: 77-81).

2. مساواة المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات:

لقد أخذت مسألة قدرات المرأة والمفاضلة بين الرجل والمرأة والقدرات العقلية والجسدية حيزاً كبيراً عند العصرانيين، وخاصة بخصوص مساواة المرأة مع الرجل في الميراث، في إطار مدنية الأحوال الشخصية (جذور الليبرالية، البطوش، 2008: 94).

ثالثاً: رفض إقامة الحدود الشرعية:

رفض العصرانيون الجدد إقامة الحدود باعتبارها وحشية وقسوة غير مطلوبة، ولهم في ذلك آراء عجيبة، منها القول بأن الحد لا يقام إلا مع الإصرار، ومن لا يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده، وأن الحدود لا تتفق مع روح القرآن، ولا يقام حد الزنا إلا على من عرف بالزنا (العصرانيون، الناصر، 2001: 358-359).

رابعاً: إباحة التعامل بالربا:

بدأ الدعوة إلى ذلك محمد عبده، بحجة المحافظة على اقتصاد البلاد، ويعتقد العصرانيون أن جعل معنى الفائدة مرادفاً لمعنى الربا من خداع الألفاظ فقط، ومنهم من يزعم أن الربا المحرم هو الربا الذي يكون زائداً عن الحد المعقول (العصرانيون، الناصر، 2001: 260). ولا شك أن هذا ضلال مبين، فإن الربا واضح حكمه في دين الله ، ولا خلاف في أن المرابي محارب لله ورسوله، فكيف بمن يشرع الربا ويروج له بين الناس باسم الفهم الجديد للدين.

خامساً: إلغاء أحكام أهل الذمة:

من المسائل التي خاض فيها العصرانيون أحكام أهل الذمة، وعدوها من القضايا التاريخية، التي انتهت بانتهاء الظروف التي شرعت فيها، فيدعون إلى إسقاطها، وإلغاء أخذ الجزية من أهل الذمة، والمساواة بين المسلمين والكتابيين في الحقوق والواجبات، والمشاركة في كافة شؤون الحياة باسم المواطنة، وحقوق الأفراد (العصرانيون، الناصر، 2001: 271).

سادساً: تعطيل الجهاد وتحريف دلالاته:

يعتقد كثير من العصرانيين أن الجهاد لم يشرع لإزالة الكفر بل لدفع الظلم، أي ظلم حتى عن المشركين ضد المسلمين(المدرسة العصرانية، العقل، 2001: 202).

لقد حرص العصرانيون على التشكيك في حركة الجهاد الأولى، ويرون أن لا جهاد إلا جهاد الدفع، وأن التعايش السلمي مقدم على الجهاد والحرب، وأخذوا يروجون إلى أن الإسلام دين سماحة وليس قتالاً، وأن المعارك التي خاضها المسلمون هي حروب سياسية ليس لها بعد عقائدي (العصرانيون، الناصر، 2001: 319-321).

ويعد هذا التجاوز من أخطر التجاوزات، التي لها أثرها على واقع الأمة، فتعطل الجهاد، وتستسلم لمخططات الغرب، فيصبح المسلمون ردات أفعال، وخائرين باسم السماحة، فيضيعون فرض الله عليهم، والعمل على إقامة دين الله في الأرض.

المطلب العاشر: تجاوزاتهم الفكرية:

لقد كان لجهل العصرانيين بحقيقة الإسلام، أثره على فكرهم فوقعوا في العديد من التجاوزات في هذا الصعيد، وهذه أهمها بإيجاز:

أولاً: لقد سلك العصرانيون في دراسة الإسلام مسالك شتى، ولكن المنهج الإسلامي لم يكن واحداً من المسالك، فمنهم من درس الإسلام من "رؤية استشراقية، أو تأمل في التدين الشعبي في مجتمعه، أو قياس على أديان أخرى، بالذات على النصرانية، فيما عرف عنها، أو غير ذلك من وسائل غير سليمة" (المثقف العربي، الزيندي، 2009: 183).

ثانياً: سوء فهم الإسلام:

إن الإسلام لدى كثير من العصرانيين ليس إسلاماً محدداً، بمعنى أنه انتساب يبدع بعد ذلك فيه كل شخص بما يتفق وفكره، واستجابته للطبيعة من حوله، وفي جميع الأحوال هو مسلم، ما دام انتمى

وانتسب للإسلام ولو رمزياً، ولذلك هم يرفضون وصف أحدهم بالكفر حتى لو ناقض أصول الإسلام، أو رفض شرائعه (المثقف العربي، الزيندي، 2009: 183).

ثالثاً: دعوتهم إلى الاقتداء بالغرب:

وهذه كبرى الإشكاليات، فإن التقدم الغربي قد صنع لهذه المدرسة العقد، وردات الأفعال غير السوية، وبدلاً من تصحيح المسار مقابل هذا، كانوا تبعاً وذيلاً للغرب، فأخذوا يغيرون ويبدلون في دينهم وعقيدتهم، لكي تكون شخصيتهم غربية في كل أحوالها.

إن الرجل العصراني العاقل في نظرهم هو الذي يساير الغرب في فكره ومنهجه المادي والروحي، وأما المتمسكون بالإسلام النقي فهم رجعيون متخلفون.

الخاتمة: في نهاية البحث خلص الباحث إلى أهم النتائج والتوصيات، نذكر منها:

أولاً: النتائج:

1. إن مراد العصرانيين بالتجديد هو إبعاد الناس عن صفاء الإسلام أو حصر الإسلام في مجالات ضيقة، وجعل العقل المسلم رهينة التصورات الغربية.
2. ليس للعصرانيين مصدرٌ للتلقي سوى العقل والهوى.
3. إن ما قامت به المدرسة العصرانية هو تحريف الفكر والعقيدة.
4. العصرانية هي امتداد للفرق الضالة في التاريخ الإسلامي ولا سيما مدرسة الاعتزال.
5. إن التقدم الغربي بكل إمكانياته وقدراته لم يستطع أن يقيم حجة بأن في الاسلام نقصاً يفقره إلى المناهج الفلسفية، أو أن في الشريعة عجزاً عن التعامل مع واقع وحياة الناس.
6. إن تجديد الدين هو ضرورة لكل عصر، ولكن ليس بالطريقة العصرانية، وإنما بالطريقة الإسلامية الصافية النقية من شوائب التغريب والدعوات المشبوهة من العصرانيين.

ثانياً: التوصيات:

1. العمل على فضح هذه الدعوات العصرانية في كل المجالات الممكنة، وعدم تركهم يدخلون الشبه على المسلمين.
2. نشر الثقافة الإسلامية الواعية في المراحل الدراسية الأساسية والعليا، كي تتكون لدى الجيل مناعة فكرية ضد الأفكار التغريبية.

3. إنشاء وسائل إعلام مرئية ومسموعة تُعنى بدراسة وعرض الرؤية الإسلامية الصحيحة من القضايا المستجدة، لتسد الفراغ الفكري الذي يستغله أصحاب الفكر المنحرف.
4. إن التمسك بالإسلام والالتزام بالعقيدة الصحيحة كانا السبب الأعظم في تقدم ونهوض المسلمين بين الأمم.
5. إن تراجع الأمة الإسلامية عن دورها الريادي هو بسبب وجود هؤلاء أصحاب الأفكار الهدامة.

فهرس المراجع:

- **القرآن الكريم:**

1. **الاتجاهات العقلانية الحديثة**، ناصر عبد الكريم العقل، ط1، دار الفضيلة، الرياض، 2001م.
2. **اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري**، حمد بن صادق الجمال، ط1، دار عالم الكتب، الرياض، 1994م.
3. **أثر الحضارة الغربية على المجتمعات الإسلامية**، جاد محمد عبدالعزيز، ط1، دار السلام 2010م.
4. **الإسلام بين التنوير والتزوير**، محمد عمارة، ط2، دار الشروق، 2002م.
5. **الإسلام والتحديات المعاصرة**، الدكتور محمد عمارة، ط4، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع 2009.
6. **الإسلام والعصر تحديات وآفاق**، محمد سعيد رمضان البوطي وطيب تيزيني، بدون رقم طبعة دار الفكر، دمشق، 1998م.
7. **الإسلام والمستقبل**، محمد عمارة، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 1997.
8. **إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات**، طه جابر العلواني، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991م.
9. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، بدون طبعة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995م.
10. **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ط15، دار العلم للملايين، بدون بلد، 2002م.
11. **الأعمال الكاملة**، محمد عبده، تحقيق: محمد عمارة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1993م.

12. **أفكار مهددة بالقتل من الشعراوي إلى سلمان رشدي**، إبراهيم عيسى، ط1، مطابع ستار برس- مطبعة مدبولي الصغير، مصر، 1993م.

13. **تجديد الخطاب الإسلامي الرؤى والمضامين**، عبد الكريم بكار، ط2، العبيان، الرياض، 2011م.

14. **تجديد الخطاب الديني بين التأصل والتحريف**، محمد بن شاكر الشريف، ط1، طبعة محجلة البيان، الرياض، 2004م.

15. **تجديد الدنيا بتجديد الدين**، محمد عمارة، بدون طبعة، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 2005م.

16. **تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر**، أحمد بن محمد اللهيب، ط1، مكتب مجلة البيان، الرياض، 1432هـ.

17. **تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره**، محمد حسانين، ط1، بدون دار نشر، بدون بلد، 2007م.

18. **تجديد الفقه الإسلامي**، جمال عطية ووهبة الزحيلي، ط1، دار الفكر المعاصر، 2002م.

19. **تجديد الفكر الإسلامي**، الحسن العلمي، ط1، مكتبة التراث الإسلامي، 2003م.

20. **تجديد الفكر الإسلامي**، حسن الترابي، ط3، دار القرافي، المغرب، 1993.

21. **تجديد الفكر الإسلامي**، مجموعة من العلماء، ط1، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود (المركز الثقافي العربي)، السعودية، 1989م.

22. **تجديد الوعي**، عبد الكريم بكار، ط2، دار القلم، دمشق، 2000م.

23. **التجديد في أصول الفقه**، جميلة بو خاتم، ط1، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، مصر، 2010م.

24. **التجديد في الفكر الإسلامي**، عدنان محمد أمامة، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1424هـ.

25. **التجديد والمستقبل**، عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط1، دار السلام، مصر، 2011م.

26. **التطرف المسكوت عنه أصول الفكر العصراني المعاصر**، ناصر بن يحيى الحنيني، ط2، دار التوحيد للنشر، الرياض، 2010م.

27.**جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث**، جمال سلطان، ط1، مركز الدراسات الإسلامية، بريطانيا، 1991م.

28.**سند ابن ماجة**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق، بشار عواد معروف، ط1، دار الجيل، بيروت، 1418هـ.

29.**العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب**، محمد حامد الناصر، ط2، دار الكوثر، الرياض، 2001م.

30.**العصرانيون ومفهوم تجديد الدين عرض ونقد**، عبد العزيز مختار إبراهيم الأمين، ط1، مكتبة الرشد الرياض، 2009م.

31.**فلسفة العقل**، رؤية نقدية للنظريات الاعتزالية، د. عبد الستار عز الدين الراوي، بدون رقم طبعة، دار الشؤون الثقافية العامة، بدون تاريخ.

32.**فيض القدير شرح الجامع الصغير**، عبد الرؤوف المنادي، تعليق ماجد الحموي، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ.

33.**القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بدون طبعة، بدون تاريخ أو بلد النشر.

34.**قراءة في خطاب النهضة إشكالات وتساؤلات**، محمد الفقيه، ط1، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، 1010م.

35.**قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، بدون طبعة، دار المعارف، بيروت، بدون تاريخ.

36.**كتاب زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، أحمد أمين، بدون رقم طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

37.**لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط1، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

38.**الليبرالية في السعودية والخليج دراسة وصفية نقدية**، وليد بن صالح الرميزان، ط1، روافد للطباعة والنشر، بيروت، 2009م.

39.**ماهية المعاصرة**، لطارق البشري، ط3، دار الشروق، 2007م.

40.المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية، عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، ط1، دار كنوز إشبيليا، السعودية، 2009م.

41.**مجالات التجديد في الدين عرض ونقد**، عبد العزيز مختار إبراهيم الأمين، ط4، مكتبة الرشد، الرياض، 2011م.

42.**المعجم الموسوعي لمصطلحات التربية إنجليزي-عربي**، فريد نجار، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2003م.

43.**المورد الحديث قاموس إنجليزي-عربي حديث**، منير البعلبكي ورمزي منير البعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 2008م.

44.**موقع جريدة الرياض** على الشبكة العنكبوتية، www.alriyadh.com

45.**موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا** على الشبكة العنكبوتية، www.ar-wikipedia.org